الحيـاء
من
أخلاق الأمم والأنبياء

بحث فى التفسير الموضوعى

د / عبد الظاهر عبد البارى على عبيد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات

بنى سويف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا[١] .

نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . رفع ذكر العلم وأحيا به قلوب العلماء .

قال الله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)[٢] .

وقال الله تعالى : (أمن هو قانت ءاناء الليل ساجدا وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)[٣] .

وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ سيد المتقين وإمام الصالحين وقدوة الموحدين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأنصاره ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بمصالح البشرية فى معاشهم ومعادهم وسلكت لأجل ذلك أوضح المسالك وأعطت كل دارج عليها نوره ليهتدى ، وخدرته مكن مغبة الضلال والخسران ، وأنزل الله ـ

---

[١] سورة الفتح الآية (٢٨)

[٢] سورة آل عمران الآية (١٨)

[٣] سورة الزمر الآية (٩)

تعالى ــ كتابه ــ الكريم ــ مشتملاً على جملة من الأخــلاق القويمــة شأنها صلاح البشرية ، وأوضح رسوله الكريم ــ صلى الله عليه وسلم معالم هذه الأخلاق فصار مدار الإسلام على خلق الحياء ، مــن حيــث الفعل ، لأنه القانون الشرعى الذى ينظم الأفعــال الشــرعية جميعــها ولذلك اتفقت كلمة الأنبياء ــ عليهم السلام ــ جميعا على استحســانه من أولهم إلى أخرهم .

وأقرته العقول السليمة ، والفطرة المستقيمة ، ولــم تســتطع شياطين الأنس والجن أن تجرى عليه التحريف والتبديل " ولــو كــان بعضهم لبعض ظهيرا "[١] .

ولما كان الحياء بهذه المكانة فى العقل والنقل ، كان لزامــاً أن نفرده فى بحث مستقل يشتمل على معاينة ، وأبوابــه ، وفضائلــه ، وعما عفو من ومما هو برئ منه ، وأن ظن الناس حياء وقد هدانــى الله تعالى لأن أسجل بقلمى بحثا فى التفسير الموضوعى عن الحيــاء واعتباره خلقا قويما من أخلاق الأمم والأنبياء عليهم السلام .

وهذا الجانب من الأخلاق عظيم الأهمية ، وقــد قســمت هــذا البحث إلى مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة مزيلــة بقائمــة الفــهارس والموضوعات

أما المقدمة : فقد تناولت فيها مكانة الأخلاق التى دعى إليها الإسلام ومنها خلق الحياء وأهمية فى بناء الفرد والمجتمع .

---

[١] سورة الإسراء الآية (٨٨)

وأما المطالب الخمسة : فهى كالتالى :

المطلب الأول : تعريف الحياء لغة وشرعاً .

المطلب الثانى : أهمية الحياء .

المطلب الثالث : الحياء صفة بشرية قديمة .

المطلب الرابع : أنواع الحياء ومنها ما يلى :

أولاً : حياء المرء من الله تعالى .

ثانياً : حياء المرء من نفسه .

ثالثاً : حياء المرء من الناس .

المطلب الخامس : نماذج من حياء الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ومنها ما يلى :

أولاً : حياء الأنبياء ــ عليهم السلام ــ فى الشفاعة .

ثانياً : حياء إبراهيم عليه السلام .

ثالثاً : حياء موسى عليه السلام .

رابعاً : حياء محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما الخاتمة : فقد سجلت بها ما توصلت إليه من أهم النتائج والله أسأل أن يتقبل منى هذا العمل بقبول حسن وأن يدخر لى ثواب ذلك يوم القائد (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)[1] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وعلى الله قصد السبيل .

---

[1] سورة الشعراء الآية (٨٨ ــ ٨٩)

المطلب الأول

تعريف الحياء لغة وشرعاً

الحياء فى اللغة :

قال ابن منظور فى لسان العرب ((والحياء : التوبة والحشمة وقد حيى منه حياء واستحياء واستحى ، حذفوا الياء الأخيرة كراهية إلتقاء الياءين ، والأخيرتان تتعديان بحرف ويفيد حرف ، يقولون : استحيا منك واستحياك واستحى منك واستحان : قال ابن برى : شاهد الحياء بمعنى الاستحياء قول جرير:

لولا الحياء لعادنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار[١]

ورجل حيىّ ، ذر حياء ، بوزن فعيل ، ولاتثنى بالهاء وأمرأة حيية واستحيا الرجل واستحيت المرأة . وقوله :

وإنى لأستحيى أخى أن أرى له علىً من الحق ، الذى لا يرى ليله معناه : آنف من ذلك .

قال الأزهرى : للعرب فى هذا الحرف لغتان : يقال أستحى الرجل يستحى ، بياء واحدة ، واستحيا فلان يستحى بياءين والقرآن نزل بهذه اللغة الثانية فى قول الله تعالى :

(إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ...)[٢]

---

[١] محمد بن عبد الله البغدادى . راجع من أخلاق النبوة جـ١ / ط الثانية سنة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م مكتبة ابن الجوزى الاحساء المملكة السعودية .

[٢] سورة البقرة الآية (٢٦)

والحياء : تغير ، وانكسار ، وانقباض ، يعتدى النفس البشرية من خوف ما يعاب به ، وأصل الحياء من الحياة ، ومنه : الحيا للمطر ، ولذلك قيل فى الحياء : هو ماء الوجه ، ولله در القائل :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه فلا خير فى وجه إذا قل ماؤه

حياءك فاحفظه عليك فإنما يدل على وجه الكريم حياؤه

الحياء شرعاً :

هو خلق سنى ، يبعث على ترك الأمور القبيحة فيحول بين الإنسان وارتكاب المعاصى ، ويمنعه من التقصير فى حق ذى الحق ويدل على هذا المعنى الشرعى ما رواه ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم ــ : " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحى فاصنع ما شئت " ــ وفى رواية أبى داود : فافعل ما شئت[1] .

قال ابن حجر : وقع فى حديث حذيفة عند أحمد والبزار " إن آخر ما تعلق به أهل الجاهلية من كلام النبوة الأولى " .

وقال الخطابى : الحكمة فى التعبير بلفظ الأمر فى قوله : (فاصنع ما شئت) دون الخبر فى الحديث إن الذى يكف الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء فإذا تركه صار كالمأمور طبعاً بارتكاب كل شر

---

[1] فتح البارى بشرح البخارى جـ١٠ كتاب الأدب ٧٨ باب إذا لم تستحى فاصنع ما شئت (ج ٦١٢٠ / ٥٣٩ ــ ٥٤٠) ط الأولى سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م دار الريان للتراث ، وراجع سنن أبى داود جـ٤ كتاب الأدب باب فى الحياء ـ ج ٤٧٩٧ / ٢٥٣) ط دار الحديث القاهرة .

وذكر النووى فى الأربعين : الأمر فيه للإباحة ، أى إذا أرادت فعل شئ فإن كان مما لا تستحى إذا فعلته من الله ولا من الناس فافعله وإلا فلا وعلى هذا مدار الإسلام ، وتوجيه ذلك أن المأمور به الواجب والمندوب يستحى من فعله ، وأما المباح فالحياء من فعله جائز وكذا من تركه ، فتضمن الحديث الأحكام الخمسة . وقيل هو أمر تهديد كما تقدم توجيهه ، ومعناه إذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت فإن الله مجازيك عليه ، وفيه إشارة إلى تعظيم أمر الحياء وقيل هو أمر بمعنى الخبر ، أى من لا يستحى يصنع ما أراد[١] .

وللعلماء تفسيرات كثيرة فى معنى هذا الحديث منها :

أولاً : هو أمر بمعنى الخبر ، لأن الذى يكف الإنسان عن مواقعة الشر واقترافه هو الحياء ، فإذا تركه كان كالمأمور بفعل كل محظور

ثانياً : هو تهديد أى : اصنع ما شئت فإن الله يجزيك .

ثالثاً : انظر إلى ما تريد فعله فإن كان مما لا تستحى منه فافعله ، وإن كان مما يستحى منه ، فدعه .

رابعاً : هو حث على الحياء وتنويه بفضله أى : لما لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الحياء[٢] .

وأرى : أن هذه التوجيهات طيبة ، لانها تتمخض عن معانى سامية رفيعة ، ولكن أقربها إلى الصواب أنه أمر بمعنى الخبر ، فمن لا

---

[١] راجع الفتح (جـ١٠ / ٤٠٠هـ) .

[٢] راجع المنهاج فى شعب الإيمان للحليمى . (جـ٣ / ٢٣٢) .

يستحى يصنع ما يشتهى . فمن لزم الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الواضح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً وتواتر الشر منه موجوداً ؛ ذلك لأن الحياء إنما هو الحائل المانع بين الإنسان وتلك المزجورات كلها ، فبقوة الحياء عنده بضعف ارتكابه إياها وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها .

ولله در القائل :

ورب قبيحة ما حال بينى وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن إذا ذهب الحياء فلا دواء

وقال غيره :

إذا رزق الفتى وجها وقاحاً تقلب فى الأمور كما يشاء
ولم يكن للدواء ولا لشئ يعالجه به يه عناء
فمالك فى معاينة الذى لا حياء لوجهه إلا العناء

فمن هنا من لزم الحياء صان عرضه ، ودفن مساويه ، ونشر محاسنه ومن ذهب حياؤه هان على الله وعلى الناس وعلى نفسه .

قال الله تعالى : (ألم تر أن الله يسجد له ما فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء)[1] .

---

[1] سورة الحج الآية (١٨)

المطلب الثانى

أهمية الحياء

الحياء خلق كريم يدفع صاحبه إلى صون اللسان وعفته عن البذئ من الكلام كما يعينه على فعل فضائل الإنسانية والشمائل الحسنه ويدفعه إلى ترك كل ما هو قبيح من الأقوال والأفعال ، ويحجب المعنى علاقة صادقة على طبيعة الإنسان وسجيته ، لأنه يكشف عن حقيقة إيمانه ومقدار أدبه .

ولقد وصى الإسلام بالحياء ، وجعل خذا الخلق ابرز ما يتميز به الإسلام من فضائل . " فعن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء "[١] .

ومعنى ذلك بقاء الإسلام ببقاء الحياء وهذا يؤخذ من المعنى المشار إليه فى قول الله تعالى : (إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبنائهم ويستحى نساءهم أنه كان من المفسدين)[٢] .

(ويستحى نساءهم) المقصود ، فمعناه يستفعل من الحياة أى يتركهن أحياء وليس فيه الألفة واحدة . وقال أبو زيد : يقال حييت من فعل كذا وكذا أحيا حياء أى استحييت[٣] .

---

[١] سنن ابن ماجه جـ٢ ٣٧ كتاب الزهد ١٧ باب الحياء (ج ٤١٨١ / ١٣٩٩) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى دار الحديث بالقاهرة .

[٢] سورة القصص الآية (٤)

[٣] راجع لسان العرب (جـ١٤ / ٢١٩) مادة حيا .

وقال صاحب الظلال : فى تفسيره لـــهذه الآيـــة مـــا نصـــه : (... فابتكر عندئذ طريقة جهنمية خبيثة للقضاء علـــى الخطـــر الـــذى يتوقعه من هذه الطائفة التى لا تعبده ولا تعتقد بألوهيته ، تلـــك هـــى تسخيرهم فى الشاق الخطر من الأعمال ، واستذلالهم وتعذيبهم بشـــتى أنواع العذاب وبعد ذلك كله تذبيح الذكور من أطفالهم عند ولادتـــهم ، واستبقاء الإناث كى لا يتكاثر عدد الرجال فيهم . وبذلك يضعف قوتـــهم بنقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث ، فوق ما يصبه عليهم من نكال وعذاب[١] .

وأيد الإمام ابن كثير هذا المعنى فقال : " ويستحى نســـاءهم " اهانة لهم واحتقار أو خوفا من أن يوجد منهم الغلام الذى كـــان قـــد تخوف هو وأهله مملكته من أن يوجد غلام يكون سبب هلاكه وذهـــاب مملكته على يده[٢] .

فالملاحظ : بعد تفسير الآية إن الحياء بمعنى الاستبقاء وهـــذا يتفق مع نص الحديث السابق الذى جعل الحياء هو خلق الإسلام .

ويعلل الشيخ الغزالى : على ذلك فيقول : وعلة ذلك أن المـــرء حينما يفقد حياءه يتدرج من سئ إلى أسوأ ، ويهبط من رذيلـــة إلـــى أرذل ولا يزال يهوى حتى ينحدر إلى الدرك الســـفل وقـــد روى عـــن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حديث يكشف عن مراحل هـــذا

---

[١] فى ظلال القرآن سيد قطب (جـــ٥ / ٢٦٧٧) ط / السابعة عشر سنة ١٤١٢هـــ / ١٩٩٢م دار الشروق .

[٢] تفسير القرآن للإمام ابن كثير (جـــ٢ / ٣٨٠) دار الثقافة .

السقوط الذى يبتدئ بضياع الحياء وينتهى بشر العواقب : " إن الله ـ عز وجل ـ إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء ، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا ممقتا فإذا لم تلقه إلا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة ، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخوفا ، فإذا لم تلقه إلا خائنا مخوفا نزعت منه الرحمة فلم تلقه إلا رجيما ملعنا ، فإذا لم تلقه إلا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الإسلام[1] .

وهذا ترتيب دقيق فى وصفه لأمراض النفوس وتتبعه لأطوارها وكيف تسلم كل مرحلة خبيثة إلى أخرى أشد نكراً ، فإن الرجل إذا مزق الحجاب عن وجهه ، ولم يتهيب على عمله حساباً . ولم يخش فى سلوكه لومة لائم . مديد الأذى للناس ، وطغى على كل ما يقع فى سلطانه ، ومثل هذا الشخص الشرس قلباً يعطف عليه ، بل إنه يغرس الضغائن فى القلوب وينميها .

وأى حب لأمرئ جرئ على الله وعلى الناس ، لا يرده عن الآثام حياء فإذا صار الشخص بهذه المثابة لم يؤتمن على شئ قط إذ كيف يؤتمن على أموال لا يخجل من أكلها أو على أعراض لا يستحى من فضحها وعلى موعد لا يهمه أن يخلفه أو على واجب لا يبالى لى أن يفرط فيه ، أو على بضاعة لا يتنزه عن الغش فيها .

فإذا فقد الشخص حياءه وفقد أمانته أصبح وحشاً كاسراً ينطلق معربدا وراء شر ثوابه ، ويدوس فى سبيلها أذكى العواطف ، فهو يغتال أموال الفقراء غير شاعر نحوهم رقة ، وينظر إلى آلام

---

[1] خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى (جـ١ / ١٥٩) .

المنكوبين والمستضعفين فلا يهتز فؤاده بشفقه أن أثرته الجاحة وضعت على عينيه غشاوة مظلمة ، فهو لا يعرف إلا ما يغويه ويغريه بالمزيد ... ويوم يبلغ امرؤ هذا الحضيض فقد أفلت من يقود الدين وانخلع من ربقة الإسلام .

قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ : " من قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه " .

وقال اياس بن قرة : كنت عند عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ فذكر عنده الحياء ، فقالوا : الحياء من الدين ، فقال عمر : بل هو الدين كله[١] .

فعندما ترى الرجل يتحرج من فعل مالا ينبغى ، أو ترى حمرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه مالا يليق ما علم أنه حى الضمير نقى المعدن ، زكى العنصر ، وقد صور القرآن الكريم ذلك فيما حكاه عن موسى ــ عليه السلام ــ وابنه الشيخ الكبير قال الله تعالى : (فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجرها سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين * قالت إحداهما يأبت استئجره إن خير من استئجرت القوى الأمين)[٢] .

قال صاحب الظلال : وقد جاءته " تمشى على استحياء " مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال " على

---

[١] جريدة صوت الأزهر العدد ١٤٣ من مقال الشيخ فوزى فاضل الزفزاف سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

[٢] سورة القصص الآية (٢٥ ــ ٢٦) .

استحياء " فى غير ما تبذل ولا تبرج ولا تيحح ولا اغـــواء ، جاءتـــه لتنهى إليه دعوة فى أقصر لفظ وأخصـــره وأذلـــه ، يحكيـــه القـــرآن بقوله : " عن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنـــا " فمـــع الحيـــاء الإبانة والدقة والوضوح لا التلجلج والتعثر والريكة . وذلك من إيحـــاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة . فالفتاة القويمة تستحى بفطرتـــها عند لقاء الرجال والحديث معهم ، ولكنها لثقتها بطهارتها واســـتقامتها لا تضطرب . الاضطراب الذى يطمع ويغرى ويهيج ؛ إنما تتحدث فـــى وضوح بالقدر المطلوب ، ولا تزيد .

وينهى السياق هذا المشهد فلا يزيد عليه ، ولا يفسح المجـــال لغير الدعوة من الفتاة والاستجابة من موسى ن ثم إذا مشهد اللقـــاء بينه وبين الشيخ الكبير[٢] .

وقال أبو السعود : " وقوله تعالى : (على استحياء " ، متعلـق بمحذوف هو حال من ضمير " تمشى " أى جاءته تمشى كائنـــة علـــى استحياء فمعناه أنها كانت على حالى المشى والمجئ معاً لا عند المجئ فقط وتنكير استحياء للتفخيم قبل جاءته متخفرة أى شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها " قالت " استئان مبنى على ســـؤال نشـــأ مـــن حكاية مجيئها إياه ــ عليه الصلاة والسلام ــ كأنه قيل . فماذا قالت له عليه الصلاة السلام ــ فقيل قالت " إن أبى يدعوك ليجزيك أجـــر مـــا سقيت لنا " أى جزاء سقيك لنا أسندت الدعوة إلـــى أبيـــها وعللتـــها

---

[١] فى ظلال القرآن (جـ ٥ / ٢٦٨٦ ــ ٢٦٨٧)

بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة مالا يخفى "[١] .

وذكر الإمام ابن كثير : انه ط لما رجعت المرأتان سريعا باللغنم إلى أبيها أنكرها لهما سبب مجيئهما سريعاً فسألهما عن خبرهما فقصتا عليه فعل موسى ــ عليه السلام ــ فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها قال الله تعالى : " فجاءته إحداهما تمشى على استحياء " أى مشى الحرائر .. قال عمر ــ رضى الله عنه ــ جاءت تمشى على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع من النساء ، ولاحة خراجة . هذا إسناد صحيح ، قال الجواهرى : السلفع من الرجال الجسور ومن النساء الجرية السليقة ومن الثوق الشديدة " قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا " وهذا تأدب فى العبارة لم تطلبه طلباً مطلقاً لئلا يوهم ريبة بك (قالت عن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) يعنى ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا[٢] .

وهكذا ربط الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين الحياء والإيمان وجعلهما متلازمين " فعن سالم عن عبد الله بن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال : مر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على رجل وهو يعاتب أخاه فى الحياء يقول إنك لتستحى ــ حتى كأنه يقول : قد أخبرتك ــ فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ دعه فإن الحياء

---

[١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للأمام أبو السعود ــ تحقيق عبد القادر أحمد عطا (جـ٤ / ٢٠٠) ط سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م دار الفكر لبنان . وانظر تفسير النهر من البحر المحيط لبى حيان الأندلسي (جـ٢ / ٦٥١) ط الأولى سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م دار الجنان .

[٢] تفسير القرآن العظيم للأمام ابن كثير (جـ٣ / ٣٨٥) .

من الإيمان " وفى رواية الترمزى مر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ برجل وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " الحياء من الإيمان " . قال أحمد بن منيع فى حديثه : إن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ سمع رجلا يعظ أخاه فى الحياء " وقال الترمزى : " هذا حديث حسن صحيح وفى الباب عن أبى هريرة وأبى بكرة وأبى إمامة "[١] أ . هـ

وحكى ابن التين : عن أبى عبد الملك إن المراد به كمال الدين .

وقال أبو عبيد الهروى : معناه إن المستحى ينقطع بحيائه عن المعاصى وإن لم يكن له تقية فصار ، كالإيمان القاطع بينه وبين المعاصى . قال عياض وغيره : إنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة لأن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وعلم [٢] .

وخلق الحياء ذو مناقب كثيرة فهو مادة الخير والفضيلة وبهذا وصفه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالخير " فعن أبى السوار ابعد وقال : سمعت عمران بن حصين قال : : قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الحياء لا يأتى إلا بخير . فقال بشير بن كعب : مكتوب فى الحكمة : إن من الحياء وقاراً وإن من الحياء سكينة ــ فقال له عمران : أحدثك عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتحدثنى عن صحيفتك "[٣]

---

[١] ــ راجع : الترمزى (جـ٥ كتاب الإيمان باب ٧ ما جاء إن الحياء من الإيمان (ج٢٦١٥ / ١٢ ــ ١٣) ، فتح البارى جـ ١٠ كتاب الأدب ٧٧ باب الحياء (ج ٦١١٨ / ٥٣٨) .

[٢] ــ راجع الفتح ٠ جـ١٠ / ٥٣٩) .

[٣] فتح البارى (جـ١٠ كتاب الأدب ٧٧ باب الحياء (ج ٦١١٧ / ٥٣٧) .

قال ابن حجر : وأما كونه خيراً كله ولا يأتى إلا بخير فأشكل حمله على العموم لأنه قد يفيد صاحبه عن مواجهة من يرتكب المنكرات ويحمله على الإخلال ببعض الحقوق ، والجواب إن المراد بالحياء فى هذه الأحاديث ما يكون شرعياً بل هو عجز ومهانة وإنما يطلق عليه حياء لمشابهته للحياء الشرعى وهو خلق يبعث على ترك القبيح ، قلت : ويحتمل أن يكون أشير إلى أن من كان الحياء من خلقه إن الخير يكون فيه أغلب فيضمحل ما لعله يقع منه مما ذكر فى جنب ما يحصل له بالحياء من الخير ، أو لكونه إذا صار عادة ، وتخلق به صاحبه يكون سببا لجلب الخير إليه فيكون منه الخير بالذات والسبب .

وقال أبو العباس القرطبى : الحياء المكتسب هو الذى جعله الشارع من الإيمان ، وهو المكلف به دون الغريزى ، غير أن من كان فيه غريزة منه فإنها تعنيه على المكتسب ، وقد ينطبع بالمكتسب حتى يصير غريزاً[١] .

وكفى بالحياء أنه سبب من أسباب دخول الجنة " فعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة ، والبذاء[٢] من الجفاء والجفاء فى النار "[٣] .

---

[١] راجع الفتح (جـ١٠ / ٥٣٩)

[٢] البذاء : هو الفحش من الكلام.

[٣] سنن الترمزى (جـ٤ كتاب البر والصلة باب ٦٦ ما جاء فى الحياء (ج ٢٠٠٩ / ٣٢١) .

المطلب الثالث

الحياء صفة بشرية قديمة

الحياء من خصائص الإنسان حياة الله به ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهى فلا يكون كالبهيمة التى ترتع من غير صاحب يمنعها عن الكلاء .

ولقد كرر الأنبياء ــ عليهم السلام ــ خاصية الحياء ؛ فتناقلتها الرسالات جميعا ، جيلا بعد جيل ، من النبوة الأولى إلى النبوة الخاتمة .

" ولذلك لما أكل آدم ــ عليه السلام ــ وحواء من الشجرة المحظورة وبدت لهما سوأتهما ، راحا يجمعان من ورق الجنة ويشبكانه بعضه فى بعض ويضعانيه على سوأتهما ، مما يوحى أن الإنسان يستحى من التعرى فطرة ، ولا يتعرى ويتكشف إلا بفساد فى هذه الفطرة من صنع إبليس وأعوانه "[١] .

قال الله تعالى : (فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين)[٢].

قال الإمام ابن جرير : (فدلاهما بغرور) فخدعهما بغرور يقال منه مازال فلان يدلى فلان بغرور بمعنى مازال يخدعه بغرور يكلمه .

---

[١] رسالة مقامع الشيطان سليم الهلالى (جـ١ / ٢٥ ــ ٢٦) مكتبة ابن البوزى .

[٢] سورة الأعراف الآية (٢٢)

من القول باطل " فلما ذاقا الشجرة " يقول فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة يقول طعما " بدت لهما سواءاتهما " يقول انكشفت لهما سوأتهما لأن الله أعراهما من الكسوة التى كانت كساهما قبل الذنب والخطيئة فسلبهما ذلك بالخطيئة التى أخطا أو المعصية التى ركبا.. وعن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : كان آدم كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بالخطيئة بدت له عورته وكان لا يراها فانطلق فاراً فتعرضت له شجرة فسحبته بشعره فقال لها أرسلينى فقالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال لا ولكنى استحيتك "[1] .

ولقد كانت العرب فى جاهليتها الأولى تستحى ، وتترك ما تظنه مستقبحا من الأفعال حياءاً من أن يؤثر عليهم ذلك .

فقد جاء فلا رواية بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ إن عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما أخبره (أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام فى المدة التى كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ماو[2] فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم اقرب نسباً بهذا

---

[1] جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى (جـ ٨ / جـ ١٠) ط سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م دار الحديث .

[2] وهى مدة الصلح بالحديبية وكانت فى سنة مت وكانت عدتها عشر سنين كما فى السيرة .

الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ فقال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً فقال : أدنوه منى ، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم إلى سائل هذا الرجل ، فإن كذبنى فكذبوه ، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذباً لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من أبائه من ملك به ؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقلت بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعذاب يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وينال منه . قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة فقال الترجمان : قل له : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ظ فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله فقلت رجل يتأسى بقول قبل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا : قلت : فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك : هل كنتم

تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت : أن لا . فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك : أشراف الناس أتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت : أن ضعفاؤهم أتبعوه وهم أتباع الرسل . وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت : أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت : أن لا : وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك : بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن انه منكم فلو إنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشت لقاءه . ولو كنت عنده لقلت عن كدبه)[1]

قال ابن حجر : " فيه دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب إما بالأخذ عن الشرع السابق ، أو بالعرف . وفى قوله يأثروا دون قوله يكذبوا دللي على أنه كان واثقا منهم بعدم التكذيب إن لو كذب لاشتراكهم معه فى عداوة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لكنه ترك ذلك استحياء وأنفه من أن يتحدثوا بذلك بعد أن يرجعوا فيصير عند سامعى ذلك كذباً . وفى رواية ابن أسحق التصريح بذلك ولفظه " فوالله لو قد كذبت ما ردوا على ولكنى كنت أمرءاً سيداً أتكرم عن

فتح البارى (جـ١) – كتاب بدء الوحى باب ٧ ج ٦ / ٤٢ ــ ٤٣ .

الكذب وعلمت أن أيسر ما فى ذلك أن أنا كذبته أن يحفظوا ذلك عنى ثم يتحدثوا ، فلم أكذبه "[١] .

وهذا عنترة يقول :

وأغض طرفى أن بدت لى جلوتى حتى يوارى جارتى مأواها

وكان الحياء من ديدنهم ، كما يتضح من السؤال الاستنكارى الذى وجهه أبو موسى الأشعرى لرجل من بنى جشم ، عندما فر هارباً فقال : " ... فلما رآنى ولى عنى ذاهباً ، فاتبعته ، وجعلت أقول له : " ألا تستحى ؟ ألست عربيا ؟ ألا تثبت ؟ فكف ... "[٢] .

كل هذه الشواهد توحى بأهمية الحياء ، وعمقه فى الفطرة البشرية السليمة ، التى تنفر من القبيح والسوء . وقد تمثلت هذه الفطرة السليمة التى يحكيها القرآن الكريم فى قصة النشأة الأولى فى اللباس وستر العورة ، حيث نفرت من انكشاف سوأتهما الجسدية والنفسية وحرصت على سترها ومواراتها .

قال الله تعالى : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو لكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين)[٣] .

---

[١] فتح البارى (جـ١ / ٤٦) .

[٢] أخرجه الإمام مسلم بشرح النووى (جـ ١٦ / ٥٩) .

[٣] سورة البقرة الآية (٣٥ ـ ٣٦)

والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس ، والنفس من التقوى ومن الحياء من الله ومن الناس .. هـؤلاء الذيـن يطلقـون العنـان لتصوراتهم الخبيثة لتأصيل هذه المحاولة فى شتى الصور يبغون مـن وراء ذلك سلب الإنسان خصائص فطرته وإنسانيته السليمة .

ومن أجل ذلك كان الإسلام دينا يفسح المجال للقيم الإنسـانية والأخلاق الحميدة فالإسلام يأمر المؤمنين بأن ينقلا بالترابط الأخلاقـى فيما بينهم ويرتفعوا به إلى دائرة الهداية بكتاب الله وهى دائرة أسـمى من دوائر الترابط التى كانت سائدة فى العصور قبل الإسلام .

إذن فالذين يريدون أن يسلموا الإنسان لعدوه الشيطان ، ليـنزع عنه لباسه ، ويكشف سوأته ، هم أعوان الشيطان وهم الذين يخططون لتدمير الإنسانية بإشاعة الانحلال والعرى .

قال الله تعالى : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متـم نوره ولو كره الكافرون)[١] .

قال الإمام الألوسى : " تمثيل لحالهم فى اجتهادهم فـى إبطـال الحق بحاله من ينفر الشمس بقية ليطفأها تهكما وسخرية منهم "[٢] .

فالآية الكريمة تكشف عن خبث الطوية لهؤلاء الكفـار الذيـن يعملون بقدر جهدهم على انتشار فاحشة التعرى وسلب الحيـاء فـى الأوساط البشرية بما يملكون من سلطانه مادية ومعنوية يسـخرونها فى إظهار كل دفين لديهم ولكن الله ــ تعالى ــ من ورائهم محيط .

---

[١] سورة الصف الآية (٨)

[٢] روح المعانى للإمام الألوسى (جـ٢٢ / ٨٩) ط الرابعة سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م دار التراث العربى .

كما تلوح الآية الكريمة بأن لهذا الدين رجال ينصرونه فى كل عصر ولو كره الكافرون وذلك من رحمة الله ـ تعالى ـ بهذه الأمة أن جعل لها القرآن الكريم يهذب سلوكها ويجعلهم يقفون عند حدود الله فلا يروجون الفاحشة ولا يرضون بها .

والعرى صفة بهيمية لا يميل الإنسان إليه إلا وهو ينكسه إلى حماة الحيوانية وإن رؤية العرى جمالاً هو فساد فى الذوق الإنسانى قطعا .

والمتخلفون فى غابات وأدغال أفريقية عراة والمتقدمون فى مدن أوروبا عراة ، والإسلام حين يدخل بحضارته إليهم ، يكون أول مظاهر الحضارة اكتساء العراة وستر السوءات ، ومواراة العورات . ولكن أبواق الشيطان التى عاشت فى ديار المسلمين وتسمت بأسماء المسلمين إذا رأت المسلمة فى زينتها التى أنعم الله بها عليها . متنزة تريد بذلك العفة والحياء والكرامة ولتنموا فيها خصائص الفطرة الإنسانية على سلامتها وجمالها الفطرى ، ولتتميز عن العرى الحيوانى .. إذا رأتها فى بيت أو مدرسة سلفتها بألسنة حداد ، فعيرتها ن لأن زينة الله وفق فطرة الله تدمى قلب الشيطان الذى يريد نزع لباس الحشمة والتقوى عن بنى الإنسان .

" وهكذا تضع الجاهلية بالناس ، فتمشح فطرتهم ، وأذواقهم وتصوراتهم ، وقيمهم ، وموازينهم ، وتعريهم من اللباس ، ومن التقوى والحياء ، ثم تدعوا هذا العرى رقيا وتجديداً ثم تعد الكاسيات المحصنات العفيفات الحرائر المسلمات المؤمنات القانتات بأنهن

رجعيات وتقليديات . وماذا تفعل بيوت الأزياء ومصموهـــا ودكـــاكين التجميل وأساتذتها بنساء اليوم ورجاله . إن هذه الشياطين إلا نســـبة وراء هذا الخبل الذى لا يفيق منه الناس رجالا ونســـاء وهـــى تنفـذ المكيدة الشيطانية بصور وأشكال شتى فتطبعها القطعان العاريـــة فـــى أرجاء الأرض طاعة مزرية وتقلدها تقليداً مضحكاً مبكياً .

قال الله تعالى : (إن يدعون من دونه إلا إناساً وأن يدعون إلا شيطان مريداً * لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضـــا * ولأضلهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن ءاذان الأنعام ولأمرنهم فليغـيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقـــد خســـر خســـرانا مبينا* يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا)[١] .

قال الإمام القرطبى : " المعنى يعدهم أباطيله وترهاته من المال والجاه والرياسة وأن لا بعث ولا عقاب ويوهمهم حتى لا يتفقوا فـــى الخير " " ويمنيهم " كذلك " وما يعدهم الشيطان إلا غروراً " أى خديعـة قال ابن عرفة : الغرور ما رأيت له ظاهراً تحبه وفيه بـــاطن مكـــروه أو مجهول "[٢] .

ويقول الأستاذ / محمد قطب : " لقد أعطـت الفطـرة اجابتـها واضحة حاسمة جازمة فى كل مرة انفلتت فيه عقد " الضوابـط " فـــى علاقات الجنسين وانفلت فيها الأولاد والبنات وراء دفعـــة الجســـد ...

---

[١] سورة النساء الآيات (١١٧ ــ ١٢٠)

[٢] الجامع لأحكام القرآن . للإمام القرطبـــى (جـــ٣ ج٥ / ٢٥٤) ط الأولـــى ســـنة ١٣٦٩هـــ ١٩٤٦م مكتبة الحنبى بالقاهرة .

أعطت الفطرة إجابتها فى اليونان القديمة وروما القديمة وفـــارس .. وأعطت إيجابتها فى العالم الإسلامى فى يوم أنحل وركبته الشـــهوات ، وأعطت إيجابتها فى فرنسا فى الحرب العظمى الثانية وتعطى إيجابتـــها الآن على نطاق واسع فى كـــل الأرض ... إجابـــة واحـــدة لا تتغـــير الانحلال الخلقى والإباحة الجنسية معناها الدمار "[١] .

ومن هنا كان الحياء من القيم الرفيعة التى يجب علينا التمســك به والمحافظة من خلاله على حرمـــة البيـــوت والتعـــرى والفوضـــى الممقوتة من الاختلاط الذى شاع فى المجتمعات الجارية حتـــى قضـــى فيها على كل ثمين وذلك لأن انهيار القيم الدينية أمنية غالية يتمناهـــا العدو للإسلام من قديم الزمان .

يقول صاحب تحفة العروس : " فإنه لم يبق حائل يحـــول دون هدم المجتمع الإسلامى فى الشرق إلا أن يطرأ على المـــرأة المســـلمة التحويل بالفساد الذى عم النساء فى الغرب وباء ينذر بالخطر "[٢] .

ولقد رفض الإسلام بأخلاقه العالية وتعاليمه الســـامية إباحيـــة الجاهلية الأولى وفرض بقدسية شديدة جانب الحشمة والوقـــار مـــن خلال الجانب الأخلاقى فى الملبس وير ذلك .

قال الله تعالى : (وقرن فى بيوتكن ولا يترجن الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وءاتين الزكاة واطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهـــب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[٣] .

---

[١] التطور والثبات فى حياة البشرية ــ محمد قطب (جـــ١ / ١٩٩) ط الدولـــة ســـنة ١٤٠٦هـــ / ١٩٨٢م دار الشروق .

[٢] تحفة العروس محمود مهدى استمبول (جـــ١ / ٢٧٥) دار نهر النيل .

[٣] سورة الأحزاب الآية (٣٣)

يرى الإمام الألوسى فى هذه الآية : " إن التبرج على ما روى عن مجاهد وقتادة وابن نجيح : المشى بتبختر وتكثر وتغنج ، وعن مقاتل : ان تلقى المرأة خمارها على رأسها ولا تشده فيوارى قلائدها وعنقها ويبدوا ذلك كله منها "[١] .

فهذه الخلاعة فى الملبس مع ما يتطلبه المجون من حضور حانات الرقص الخليع بين الشباب والفتيات قد أصبحت من العرف السائد فى الأوساط المنتسبة إلى الإسلام ظنا منهم بأن هذه التقاليد لوناً من ألوان الحضارة والرقى ، فوقعوا بذلك فى أوحال التخلف ولا يخطاوا حتى اصبح المتزوجون منهم يقبلون على الرقص مع غير زوجاتهم بحجة قضاء المصالح المترابطة وطلق العنان للغرائز .

يقول صاحب الظلال : " كانت ولا تزال هناك دعوى عريضة من الأجهزة الفتاكة التى يواجهها أعداء الإسلام فى الأرض ذلك لتدبر الحية الإنسانية بإشاعة الانحلال العقدى والتفتح الأخلاقى فى الأوساط والبيئات الثقافية بقصد التمدن والتحضر والواقع يكذب ما يريدونه من برتوكلات صهيون ووصايا مؤتمر المبشرين "[٢] .

ومن ثم فإن كل ما يخدش الحياء ولا يتفق مع القيم الإسلامية فهو مردود لا ينبغى لمسلم تقليد العدو فيه .

---

[١] روح المعانى للألوسى (جـ٢١ / ٨)

[٢] فى ظلال القرآن . سيد قطب (جـ٣ / ١٣١٦)

المطلب الرابع

أنواع الحياء

الحياء اسم جامع مانع يدخل فيه أنواع كثيرة من أهمها ما يلى :

أولاً : حياء المرء من الله تعالى :

من المعلوم أن ذم الله فوق كل ذم ، ومدحه فوق كل مدح والمذموم من ذمه الله ، والمحمود حقيقة من حمده ربه فالله أحق أن يستحى منه . والحياء من الله ــ تعالى ــ طريق إلى إقامة كل طاعة واجتناب كل معصية ، لأنه إذا خان العبد ذم ربه إليه لم يرفض له طاعة ولم يقرب معصية ، وبذلك يكون الحياء من الإيمان .

أخرج الإمام مسلم : عن أبى صالح عن ابى هريرة ــ رضى الله عنه عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان "[1] .

قال القاضى عياض ــ رحمه الله ــ : البضع والبضعة بكسر الباء فيهما وفتحها هذا فى العدد : فأما بضعة اللحم فبالفتح لاغير والبضع فى العدد ما بين الثلاث والعشر وقيل من ثلاث إلى تسع وقال الخليل البضع سبع وقيل ما بين اثنين إلى عشرة وما بين اثنى عشر إلى عشرين ولا يقال فى أثنى عشر قلت وهذا القول هو الأشهر الظهر وأما الشعبة فهى القطعة من الشئ فمعنى الحديث بضع وسبعون خصلة ...

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووى جـ٢ باب بيان عدد شعب الإيمان صـ٣ ط سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م دار الريان للتراث .

وقال : إن أصل الإيمان فى اللغة التصديق وفى الشرع القلب واللسان وظواهر الشرع تطلقه على الأعمال كما وقع هنا أفضلها لا إله إلا الله وآخرها إماطة الأذى عن الطريق .. ثم ذكران كمال الإيمان بالأعمال وتمامه بالطاعات وغن التزام الطاعات وضم هذه الشعب من جملة التصديق ودلائل عليه وانها خلق أهل التصديق فليست خارجه عن اسم الإيمان الشرعى ولا اللغوى وقد نبه ــ صلى الله عليه وسلم على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد والذى لا يصح شئ من الشعب إلا به صحته وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين من اماطة الأذى عن طريقهم وبقى بين هذين الطرفين أعداد لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه وقد فعل ذلك بعض من تقدم وفى الحكم بأن ذلك مراد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ صعوبة ثم أنه لا يلزم معرفة أعيانها ولا يقدح جهل ذلك فى الإيمان إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة والإيمان بأنها هذا العدد واجب فى الجملة . أ . هـ

وقد حث الشرع الحنيف على الاستحياء من الله حق الحياء " فعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء . قال : قلنا يا رسول الله إنا نستحى والحمد الله قال : ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء "[1] .

---

[1] صحيح الترمذى جـ٤ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب ٢٤ ج ٢٤٥٨ / ٥٥٠ ط الأولى سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م دار الكتب العلمية بيروت . وقال أبو عيسى: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه .

فالحديث يذكران الاستحياء من الله حق الحياء وهـــو الحيـــاء المطلوب أن يحفظ المرء الرأس وما وعى من التفكير والعقل وحاســـة البصر والشم واللسان ، فمن الحياء أن لا يفكر الإنسان إلا فى ذات الله ولا يتطلع بحواسه إلى ما حرم الله ومن الحياء أن يحفظ المرء بطنـــه من تذوق الحرام وفرجه من الزنى ثم يتذكر دائما المـــوت والحســـاب فيكون فى ميدان المراقبة فمتى علم العبد أن الله ناظر إليه قريب منـــه يستحى أن يقع فى معصية .

" فلقد كان أمير المؤمنين ــ عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه يعس دائما فى دروب المدينة ليلا فسمع بعض النسوة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبـــه وليس إلى جنبى خليل ألاعبـــه

فوالله لولا الله تخش عواقبـــه لزلزل من هذا السرير جوانبـــه

ولكن دينى والحيـــاء يصدنـــى واكرم بعلى أن تنال مراكبـــه

فسأل عمر ــ رضى الله عنه ــ عن صاحب هذا البيت فعـــرف انه فى الجهاد ، فسأل ابنته حفصة ــ رضى الله عنها ــ كـــم تصـــبر المرأة على فراق زوجها ، فقالت : أربعة أشهر ، فأمر ألا يزيد الخوفة على أربعة أشهر ، حتى يعود المجاهد إلى أهله "[1] .

ومن الأمور التى تعين على الحياء من الله تعالى مراقبـــة الله فى السر والعلن فمتى علم الإنسان أن الله ناظر إليه قريب منه أورثـــه هذا العلم حياء منه وكذلك شكر النعمة لله فقد يتولد الحيـــاء مـــن الله

---

[1] العنبر من وحى المنبر د / محمد أحمد همـــام (جـــ٢ / ٤٥٥) ط الأولـــى ســـنة ١٤٠٨هـــ / ١٩٨٨م دار القلم دبى .

تعالى ــ نتيجة للتقلب فى النعم التى وهبها الله للعبد تفضلا منه فيستحى العاقل اللبيب من أن يستعين بها على معصية الله .

ثانياً : حياء المرء من نفسه :

وهذا ضرب من الحياء ، تحس به النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة فلا تضع بالنقص والدون والهون ، فيجد المرء نفسه متسحييا من نفسه لكن له نفسين يستحى بأحدهما من الأخرى ، وهذا القسم من كمال الحياء ، فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو أولى بأن يستحى من غيره .

ثالثاً : حياء المرء من الناس :

ويدخل فى جملة الحياء استحياء الناس بعضهم من بعض لحياء الولد من والديه والمرأة من زوجها والجاهل من العالم ، والصغير من الكبير ، وحياء البكر من الإفصاح بالرغبة فى النكاح " فعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أنها قالت : يا رسول الله إن البكر تستحى قال : رضاها صمتها " . وفى رواية مسلم من هذا الوجه سألت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الجارية ينكحها أهلها أتستأمر أم لا ؟ قال : نعم تستأمر . قلت : فإنها تستحى "[1] .

وكذلك كاستحياء عثمان ــ رضى الله عنه ــ فإنه أشتهر بذلك بين الناس ذكر ابن حجر فى الفتح : أن أبا بكر أتى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو فى بيته قد انكشف فخذه فجلس أبو بكر ، ثم دخل

---

[1] فتح البارى جـ٩ كتاب النكاح ٤١ باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها ج ٥١٣٧ / ٨٩ .

عمر ، ثم قال فى جواب عائشة : إن عثمان رجل حيى ، وأنى خشيت أن أذنت له على تلك الحالة لا يبلغ إلى فى حاجته "[١] .

ومن هنا نقول : إن هناك أمور لا تعد من الحياء منها :

أولاً : عدم قول الحق والجهر به :

قال الله تعالى : (يا أيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستئنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً)[٢] .

أخرج صاحب الفتح : من رواية أنس بن مالك قال : بنى النبى صلى الله عليه وسلم ــ بزينب بنت جحش بخبز ولحم . فأرسلت على الطعام داعيا ــ فيجئ قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجئ قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه . فقلت : يا رسول الله ما أجد أحد أدعوه . قال : " ارفعوا طعامكم " وبقى ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت فخرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فانطلق إلى حجرة عائشة ــ رضى الله عنها ــ فقال : السلام عليكم ــ أهل البيت

---

[١] فتح البارى (جـ٧) كتاب فضائل الصحابة باب ٧ عثمان ــ رضى الله عنه ــ صـ٦٨ .

[٢] سورة الأحزاب الآية (٥٣)

ورحمة الله وبركاته . قالت ، وعليكم السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك يا رسول الله ؟ بارك الله لك فتقرى حجر نسائه ، كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن كما قالت عائشة . ثم رجع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا ثلاثة رهط فى البيت يتحدثون . وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة ، فما أدرى أخبرته أم أخبران القوم خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله فى اسكفة الباب داخله والأخرى خارجة ، أرخى الستر بينى وبينه وأنزلت آية الحجاب "[1] .

قال صاحب الظلال : " والآية تتضمن آدابا لم تكن تعرفها الجاهلية فى دخول البيوت ، حتى بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان الناس يدخلون البيوت بلا إذن من أصحابها ... وكان بعضهم يدخل وحين يرى طعاماً يوفد عليه يجلس فى انتظار نضج هذا الطعام ليأكل بدون دعوة إلى الطعام أو كان بعضهم يجلس بعد الطعام ـ سواء كان قد دعى إليه أو هجم هو عليه دون دعوة ـ ويأخذ فى الحديث والسمر غير شاعر بما يسببه ذا من إزعاج للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأهله "[2] .

ومفاد هذا أن الله لا يستحى من الحق أى لا يأمر بالحياء فى الحق .

---

(١) فتح البارى جـ٨ كتاب التفسير ٨ باب لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم ح ٤٧٩٣ / ٣٨٨ .

(٢) فى ظلال القرآن (جـ٥ / ٢٨٧٧) .

قال الإمام النووى : فقد يشكل على بعض الناس من حيث أن صاحب الحياء قد يستحى أن يواجه بالحق من يجله ، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق ، وغير ذلك مما هو معروف فى العادة ، وجواب هذا ما أجاب به جماعة الأئمة ، منهم أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله :

قال : " إن هذا المانع الذى ذكرناه ليس بحياء ، بل هو لمجز وخور ومهانة وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف ، أطلقوه مجاز ، لمشابهة الحياء الحقيقى ، وإنما الحياء الحقيقى خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق "[٢] .

وقال ابن حجر : " ولا يقال رب حياء يمنع من قول الحق ، أو فعل الخير ، لأن ذلك ليس شرعاً "[١] .

ثانياً : الحياء فى طلب العلم :

قد يقع الحياء لشخص يمنعه عن طلب العلم وهذا حياء مذموم لأن الحياء الشرعى هو الذى يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر وهو محمود ، وأما ما يقع سببا لترك أمر شرعى فهو مذموم ، وليس هو بحياء شرعى وإنما هو ضعف ومهانة .

قال ابن حجر : وهو المراد بقول مما هو : لا يتعلم العلم مستحى وهو بإسكان الحاء .و (لا) فى كلامه نافيه لا ناهية ، ولهذا

---

[١] شرح مسلم (جـ٢ / ٥) .

[٢] الفتح جـ١ / ٥٢ .

كانت ميم يتعلم مضمومة ، وكأنه أراد تحريض المتعلمين على تـــرك العجز والتكبر لما يؤثر كل منهما من النقص فى التعليم .

" فعن زينب ابنة أم سلمة عن أم سلمة قالت : جاءت أم ســليم إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالت : يا رســول الله ، إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت قـــال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا رأت الماء فغطت أم سلمة ــ تعنى وجهها وقالت : يا رسول الله وتحتلم المرأة ؟ قال : نعم . تربت يمينك فغيم يشبهها ولدها "[1] .

---

[1] فتح البارى جـ١ كتاب العلم ٥٠ باب الحياء فى العلم ولا مستكبر . وقالت عائشة ك نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين ح ١٣٠ / ٢٧٦ .

المطلب الخامس

نماذج من حياء الأنبياء عليهم السلام

أولاً:حياء الأنبياء ــ عليهم السلام ــ فى حديث الشفاعة :

الحياء شرعة توارثته الرسالات عبر الأجيال جميعها ، وقد أشرنا إلى هذا من قبل .

لذلك : يعد الحياء خلق الأنبياء جميعا يتجلى ذلك واضحا فى حديث الشفاعة ليبرهن لنا على أن حياء الرسل ــ عليهم السلام ــ صفة ملازمة لهم فى الحياة وفى الدنيا الآخرة .

" فعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : أتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بلحم فرفع إليه الذراع فأكله وكانت تعجبه فنهشن منها نهشة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون لم ذاك ؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنوا الشمس منهم فبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون . فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول الناس بعضهم لبعض : عليكم بآدم ، فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شئ فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول : لست هناكم ، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم . فيستحى فيقول : ائتوا خليل الرحمن ، فيأتونه فيقول : لست هناكم . ائتوا موسى عبداً كلمه الله أعطاه

التوراة ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ويذكر قتل النفس بغير نفس فيستحى من ربه فيقول : ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمه الله وروحه ، فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فيأتونى فأنطلق حتى استأذن على ربى فيؤذن ، فإذا رأيت ربى وقعت ساجداً فيدعنى ما شاء ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه وقل تسمع ، واشفع تشفع ، فارفع رأسى ، فاحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحد لى حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أعود إليه ، فإذا رأيت ربى مثله ـ ثم أشفع فيحد لى حداً فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الثالثة ، ثم أعود الرابعة فأقول : ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود "[1] .

ثانياً : حياء إبراهيم ـ عليه السلام :

لقد بلغ من شدة حياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ من ربه أنه استحيا أن يسأل ربه النجاة وهو فى محنته القاسية ، عندما ألقاه قومه فى النار ليحرقوه بعد أن ألجمهم الحجة على بطلان عبادة الأصنام وأثبت لهم أنها عاجزة عن أن تحمى نفسها ، فكيف تنفع غيرها أو تضره ، وعجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة وأفحمهم بمنطقه الحكيم على فساد تلك العبادة ... وبدلا من أن ينصاعوا إلى منطق العقل ويستمعوا إلى صوت الحكمة أخذتهم العزة بالإثم ، شأنهم

---

[1] أخرجه الإمام الترمذى (حـ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ح ٢٤٣٤ / ٥٣٨ والبخارى من رواية أنس بن مالك ، وقال أبو عيسى : هذا الحديث حسن صحيح .

فى ذلك شأن كل طاغية جهول يلجأ إلى استعمال القوة الغاشمة بعد أن تبطل حجته ، ويعجز عن إثبات صدق موقفه .

قال الله تعالى : ٠ قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون * قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم * أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون * قالوا حرقوه وانصروا ءالهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم * وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين)[1] .

قال الإمام ابن كثير : وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطبا من جميع ما يمكنهم من الأماكن ، فمكثوا مدة يجمعون له حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبا لحريق إبراهيم ثم عمدوا إلى جوية[2] عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار فاضطرمت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله قط ، ثم وضعوا إبراهيم ــ عليه السلام ــ فى كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك .

---

[1] سورة الأنبياء الآيات (٦٢ ــ ٧٠)

[2] جوية بمعنى الأرض الصلبة الملساء يحاط عليها حجارة أو التراب فيجتمع فيها الماء .

فلما وضع الخليل ــ عليه السلام ــ فى كفه المنجنيق مقيدا مكتوفا ثم ألقوه منه إلا النار قال " حسبنا الله ونعم الوكيل "[١] .

وذكر بعض السلف : أن جبريل عرض له فى الهواء فقال : يا إبراهيم آلك حاجة ؟ فقال أما إليك فلا ؟ ويروى عن ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : جعل ملك المطر يقول : متى أومر فأرسل المطر ؟ فكان أمر الله أسرع "[٢] .

ثالثاً : حياء موسى ــ عليه السلام :

لقد كان موسى ــ عليه السلام ــ رجلا شديد الحياء ، وكان يستر جسده بحيث لا يرى من جلده شئ فاتهمه قومه بنو إسرائيل وقالوا : ما يستر هذا التستر إلا من عيب بجلده فأراد الله أن يبرأه مما قالوا ، وان يثبت لبنى إسرائيل أن موسى يستر جسده حياء ، ولا يستره لمرض أو عيب .

أخرج البخارى : من حديث أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " إن موسى كان رجلا حييا ستيراً لا يرى من جلده شئ استحياء منه ، فأذاه من أذاه من بنى إسرائيل . فقالوا : ما يستر هذا التستر إلا من عيب بجلده : إما أدرة أو إما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم أغتسل . فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول :

---

(١) آلة قديمة من آلات الحصار كانت تلقى بها الحجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها .
(٢) سورة آل عمران الآية (١٧٣)

ثوبى حجر ، ثوبى حجر ، حتى انتهى إلى ملاء من بنى إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر ، فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لنديا من اثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً[١] فذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين ءاذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)[٢] .

قال ابن حجر : " لا يرى من جلده شئ استحياء منه " هذا يشعر بأن اغتسال بنى إسرائيل عراه بمحضر منهم كان جائزاً فى شرعهم وإنما اغتسل موسى وحده استحياء ...

ونقل ابن الجوزى : " عن الحسن بن أبى بكر النيسابورى : إن موسى نزل إلى الماء مؤتزراً فلما خرج تتبع الحجر والمئتزر مبتل بالماء علموا عند رؤيته أنه غير أدر ، لأن الأدرة تبين تحت الثوب المبلول بالماء .. ولكن هذا يخالف المنقول عن أنس عند أحمد فى هذا الحديث : عن موسى كان إذا أراد أن يدخل الماء لم يلق ثوبه حتى يوارى عورته فى الماء " .

وقال ابن الجوزى : لما كان موسى فى خلوة وخرج من الماء فلم يجد ثوبه تبع الحجر بناء على أن لا يصادف أحداً وهو عريان

---

[١] فتح البارى (جـ٦ كتاب أحاديث الأنبياء ٢٨ باب ح ٣٤٠٤ / ٥٠٢) وما بعدها ؛ الترمذى ج٥ كتاب تفسير القرآن باب ٣٤ ومن سورة الأحزاب ح٣٢٢١ / ٣٣٥ وما بعدها .

[٢] سورة الأحزاب الآية (٦٩)

فاتفق أنه كان هناك قوم فاجتازوا بهم ن كما أن جوانب الأنهار وان خلت غالبا لا يؤمن وجود قوم قريب منها ، فبنى الأمر على أنه لا يراه أحد لأهل خلاء المكان فاتفق رؤية من رآه والذى يظهر أنه أستمر يتبع الحجر على ما فى الخير حتى وقف على مجلس لبنى إسرائيل كان منهم من قال فيه ما قال وبهذا تظهر الفائدة .

وقال الطبرى وابن أبى حاتم : بإسناد قوى عن ابن عباس عن على قال : صعد موسى وهارون الجبل ، فمات هارون فقال بنو إسرائيل لموسى : " أنت قتلته ، كان ألين لنا منك وأشد حباً فأذوه بذلك . فله الله الملائكة فحملته فمرت به على مجالس بنى إسرائيل فعلموا بموته " قال الطبرى : يحتمل أن يكون هذا المراد بالأذى فى قوله " لا تكونوا كالذين ءاذوا موسى " .

وقال ابن الجوزى : فيه جواز النظر إلى العورة عند الضرورة الداعية لذل من مداواة أو براءة من عيب . كما لو ادعى أحدا الزوجين على الآخر البرص ليفسح النكاح فأنكر . وفيه أن الأنبياء فى خلقهم وخلقهم على غاية الكمال ن وفيه معجزة ظاهرة لموسى عليه السلام ، وإن الآدمى يغلب عليه طباع البشر ، لن موسى علم أن الحجر ما سار بثوبه إلا بأمر من الله ومع ذلك عامله معاملة من يعقل حتى ضربه وفيه ما كان من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ــ من الصبر على الجهاد واحتمال أذاهم ، وجعل الله ــ تعالى ــ العاقبة لهم على من أذاهم "[1] .

---

(١) فتح البارى جـ٦ / ٥٠٥ ، جـ٨ كتاب التفسير باب لا تكونوا كالذين ءأذوا موسى ح ٤٧٩٩ / ٣٩٥ .

رابعاً : حياء محمد ـ صلى الله عليه وسلم :

قال أبو العباس القرطبى : " وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد جمع له النوعان من الحياء ، فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان فى الحياء المكتسب فى الذروة العليا ـ صلى الله عليه وسلم "[٢] أ . هـ

فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : " كان النبى صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياء من العذراء فى خدرها "[٣] .

قال الإمام ابن حجر : " قوله : أشر حياء من العذراء " أى البكر ، وقوله ط فى خدرها " بكسر المعجمة أى فى سترها ، وهو من باب التتميم ، لأن العذراء فى الخلوة يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه ، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها ، فالظاهر أن المراد تقيده بما إذا دخل عليها فى خدرها لا حيث تكون منفردة فيه ، ومحل وجود الحياء منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غير حدود الله "[٤] .

وأخرج ابن حيان : " عن طريق أحمد بن سنان القطان قال : قلت العبد الرحمن بن مهدى : يا أبا سعيد أكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياء من العذراء فى خدرها ؟ قال : نعم عن مثل هذا فسل يا شعبة " . فذكره بتمامه ... الحديث .

---

[١] فتح البارى (جـ١٠ كتاب الأدب ٧٧ باب الحياء / ٥٣٩ .

[٢] فتح البارى ٠ جـ٦ المناقب ٢٣ باب صفة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ح ٣٥٦٢ / ٦٥٤

[٣] فتح البارى (جـ٦ / ٦٦٧)

لقد بلغ الحياء بالنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن جعلــــه لا ينتقم لنفسه قط أى خاصة فمن كانوا يؤذونه لأنهم كـــانوا مـــع ذلـــك ينتهكون حرمات الله فينتقم لله . فنره تارة قد عفا عن الأعرابى الـــذى جفا فى رفع صوته عليه ، وتارة عن الآخر الذى جذب ردائه حتى أثر فى كتفه .

وقد أخرج الحاكم عن طريق معمر عن الزهـــرى : مـــا لعـــن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مسلماً بذكر ــ أى بصريح اسمه ــ ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب بها فى سبيل الله ، ولا ســـئل فى شئ قط فمنعه إلا أن يسأل مأثما ، ولا انتقم لنفسه من شـــئ إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم ... الحديث .

قال ابن حجر : وفى حديث الحث على ترك الأخذ بالشئ لعســـر والاقتناع باليسر وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه ويؤخذ مـــــن ذلـــك الندب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ ، والحث على العفـــــو إلا فى حقوق الله تعالى والندب إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـــو ، ومحل ذلك ما لم يقضى إلى ما هو أشد منه وفيه ترك الحاكم للنفـــس وإن كان الحاكم متمكنا من ذلك بحيث يفرض منه الحيف على المحكوم عليه ، لكن لحسم المادة[1] وكان من حياءه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أيضا أنه لم يكن يتكلم بفاحشاً من قول ولا متفاحشاً أى ناطقا بـــالفحش وهو الزيادة على الحد فى الكلام السئ ، والمتفحش المتكلف لذلـــك أى لم يكن له الفحش خلقاً ولا مكتسباً .

---

[1] فتح البارى (جـــ٦ / ٦٦٦)

وقد أخرج الإمام الترمذى : عن طريق أبى عبد الله الحد لـــى قال : سألت عائشة عن خلق النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقـــالت لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح .

وكفاه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكارم ما جاء عن أبـــى هريرة من حديث أحمد رفعه " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الخـــاتمـــة

نسأل الله ــ تعالى ــ حسنها

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ــ سبحانك ربنا " لا علـــم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم "[١] .

ونشهد أن لا غله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن سـيدنا محمداً عبده ورسوله ــ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد ..

عن الأخلاق كانت فى تصور خير القـــرون عقيـــدة ، فتبـــوأت فى حياتهم مكانا عليا ، فكتب التاريخ سيرتهم بحروف معطـــرة تفعـــم الحياة على مر عصورها ، وذكر دهورها ، فضيلة ، وخيراً وصلاحـــاً وإصلاحاً .

وذروة سنام هذه الأخلاق الربانية الحياء ، الذى يســـرى فـــى الأفعال فيجعلها نماء وبركة ، وقرة عين للبشر .

ولله در القائل :

إذا لم تخش عاقبـــة الليـــالى	ولم تستح فـــاصنع مـــا تشـــاء
فلاوالله ما فى العيـــن خـــير	ولا الدنيـــا إذا ذهـــب الحيـــاء
يعيش المرء ما استحيى بخير	ويبقى العود مـــا بقـــى اللحـــاء

---

[١] سورة البقرة الآية (٣٢)

هذا وقد توصلت فى نهاية بحثى إلى تلك النتائج .

أولاً : إن حياء الله تعالى نوع آخر لا تدركه الأفهام فهو كرم وجـــود قال الإمام ابن القيم : " وأما حياء الرب تعالى ــ من عبــده ــ فــذاك نوع آخر وجلال ، فإنه تبارك وتعالى ــ حيىٌ كريم ، يستحى من عبده إذا رفع إليه يديه إن يردهما صفرا ، ويستحى أن يعذب ذا شيبة شابت فى الإسلام "[1] .

ثانياً : إن الجيل الأول من الصحابة ــ رضى الله عنهم ت هم الذيـــن ورثوا مكارم الأخلاق عن الرسول ــ صلى الله عليه وســـلم ــ أشــد الناس حياء ، وبرز من بينهم نماذج رائعة فى الحياء وكانت الملائكــة تستحى منهم .

ثالثاً : إن الله يحب الحياء لأن الحياء من الإيمان .

رابعاً : الحياء خلق الإسلام وغيره من الشرائع السابقة وهو لا يــأتى إلا بخير ويقود صاحبه إلى الجنة .

ونختم هذا البحث بما جاء عن عبد الله بن عمر ــ رضـــى الله عنهما عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كـــان يقــول بــهذا الدعاء : " اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول لـــه بـــه بيننـــا وبيـــن معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وحواسنا وقوتنـــا مـــا أحييتنا واجعله الوارث منا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا

---

(٢) مدارج السالكين لشيخ الإسلام ابن قيم الجوزية (جـ٢ / ٢٦١) .

في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا "[٢] .

والله أعلى وأعلم ولجل ولكرم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كان الفراغ من تبييضه السابع من رمضان سنة ١٤٢٣هـ الثانى عشر من نوفمبر سنة ٢٠٠٢م .

دكتور
عبد الظاهر عبد البارى على عبيد
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات العربية والإسلامية
بنات بنى سويف

---

[٢] أخرجه الحاكم فى مستدركه والترمذى فى سننه بنحوه فى كتاب الدعوات (جـ٥ / ٤٩) .

قائمة المراجع

١ ــ القرآن الكريم جل من أنزله .

٢ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للأمام أبو السعود تحقيق عبد القادر أحمد عطا ط سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م دار الفكر لبنان .

٣ ــ التطور والثبات فى حياة البشرية ــ محمد قطب ط السادسة سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٠م دار الشروق .

٤ ــ تحفة العروس ــ محمود مهدى استينمبولى دار نهر النيل .

٥ ــ صحيح البخارى بشرح الكرمانى ط الثانية سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م دار إحياء التراث العربى .

٦ ــ الجامع لأحكام القرآن للأمام القرطبى ط الأولى سنة ١٣٩٩هـ ١٩٤٦م مكتبة الحلبى القاهرة .

٧ ــ جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م دار الحديث .

٨ ــ الحياء فى ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ــ سليم الهلالى مكتبة ابن الجوزى ط الثانية سنة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .

٩ ــ سنن الترمذى لأبى عيسى ط الأولى سنة ١٤٠٨هـ دار الحديث

١٠ ـ رسالة مقامع الشيطان ـ سليم الهلالى مكتبة ابن الجوزى .

١١ ـ روح المعانى للألوسى ط الرابعة سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م دار التراث العربى .

١٢ ـ خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى .

١٣ ـ سنن أبى داود ط دار الحديث بالقاهرة .

١٤ ـ صوت الأزهر العدد ١٤٣ سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

١٥ ـ العنبر من وحى المنبر د / محمد أحمد همام ط الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م دار الفكر دبى .

١٦ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ط الأولى سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م دار الريان للتراث .

١٧ ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ط السابعة عشر سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م دار الشروق .

١٨ ـ تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير القرشى ط دار الثقافة .

١٩ ـ قصص الأنبياء للأمام ابن كثير تحقيق د / السيد الجميلى ط سنة ١٩٨٩م دار المكتب الثقافى .

٢٠ ـ مدارج السالكين لابن القيم الجوزية .

٢١ ــ معرفة علوم الحديث للحـــاكم النيســابورى ط الثانيــة ســنة ١٣٩٧هـ منشورات المكتبة العلمية .

٢٢ ــ من أخلاق النبوة ــ بدون ــ ط الثانية سنة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م مكتبة بن الجوزى . الاحساء ، المملكة لعربية السعودية .

٢٣ ــ المنهاج فى شعب الإيمان للحليمى .

٢٤ ــ صحيح مسلم ــ بشرح النووى .

٢٥ ــ سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط دار الحديث .

٢٦ ــ لسان العرب لابن منظور ط الثانية سنة ١٤١٤هـــــ ١٩٩٤م دار صادر بيروت .

٢٧ ــ النهر المار من البحر المحيط لأبى حيان الأندلســـى ط الأولـــى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م دار الجنان .